مجلة المجمع العلمي العربي

الجزء ١٢ كانون الاول ١٩٢٣م — ربيع الثاني وجمادى الاولى ١٣٤٢ المجلد ٣

طبقات الحنابلة

وقفتُ على قطعة صالحة من هذه الطبقات المخطوطة في مكتبة زميلي العلاّمة الشيخ سعيد الكرمي احد اعضاء مجمعنا وهي بخط قديم خرمت من اولها وآخرها تقع في ٢٦٨ صفحة بقطع كامل من النصف العادي . ويليها كتاب آخر في الحديث ربط معها بمجلّد واحد . ولا تخلو هذه النسخة من تصحيف لان الخط كان غير منقوط ثم نقط بعد ذلك فاصلحتُ ما امكن اصلاحه مما انتبهته هنا

ومما بقي من التراجم فيها سيرة ١٦٧ علمًا اولها ترجمة يعقوب بن ابرهيم بن احمد بن سطور العكبري البزبيني من اهل القرن الخامس للهجرة والحادي عشر للميلاد وآخرها ترجمة عبدالله بن علي الفرابر من اهل القرن التاسع للهجرة والخامس عشر للميلاد والمترجمون فيه معظمهم عراقيون . توسع المؤلف في تراجم العظماء منهم وأفاض في أوصافهم واعمالهم بكل استقراء وتفصٍّ . وممن أطال في سيرته يحيى بن محمد بن هبيرة العالم العادل صدر الوزراء الذي وصفه بالمعلم الواسع والرئاسة التامة فجاءت ترجمته في نحو اربعين صفحة . ومما اوردهُ من شعره قوله :

يلذُّ بهذا العيش من ليس يعقلُ ... ويزهد فيه الأَلمعيُّ المحصّلُ

وما عجب نفسي ان ترى الرأي انما — اجيبة نفس مقتضى الرأي تفعلُ

الى الله اشكو همة دنيوية ... ترى النصر الاّ انها تتأوّلُ

ينهنهها موت النبيه فترعوي ... ويخدعها روح الحياة فتغفلُ

وفي كل جزء ينقضي من زمانها ... من الجسم جزء مثلهُ يتحلّلُ

فنفس الفتى في سهوها وهي تنقضي ... وجسم الفتى في شغله وهو يعملُ

ومما جاء فيه من المنظومات المستشهد بها قول بعضهم منشداً لغيره :

ولا تمشِ فوق الارض الا تواضعاً فكم تحتها قوم هم منك أرفعُ
فان كنتَ في عزٍّ وحرزٍ ومنعةٍ فكم مات من قومٍ هم منك امنعُ

وقول الدينوري البغدادي منشداً ايضاً :

تمنَّيتَ ان تمسي فقيهاً مناظراً بغيرِ عناءٍ والجنون فنونُ
وليس اكتساب المال دون مشقةٍ تلقَّيتها فالعلم كيف يكونُ

ومن اشعار المترجمين ما انشده ابرهيم بن دينار لنفسه :

يا دهر ان جارت صروفك واعتدت ورميتني في ضيقةٍ وهوانِ
أنى اكون عليك يوماً ساخطاً وقد استفدتُ معارف الاخوانِ

وانشد بعض الشعراء حين موت يحيى بن محمد بن هبيرة :

مات يحيى ولم نجد بعد يحيى ملكاً ماجداً به يستعانُ
واذا مات من زمانٍ كريم مثل يحيى بهِ تموتُ الزمانُ

وقال ابن القطيعي الشدني ... سعدالله بن الدجاجي لنفسه :

ملكتم مهجتي بيعاً ومقدرةً فانتم اليوم أغلالي وأغلى لي
علوتُ فخراً ولكني ضنيتُ هوًى فانتم اليوم إعلالي وأعلى لي

وزاد بعضهم ثالثاً لها بقولهِ :

أوصى لي البينُ أن اشقى بحبكمُ فقطع البين اوصالي واوصى لي

وانشد ابو الخطاب الكلوداني لنفسهِ :

أنا شيخ والمشايخ بالآداب علم يخفى على الشبَّانِ
فاذا ما ذكرتني فتأيَّد(١) فهو فرضٌ يُردُّ بالميزانِ

وقال ابن الجوزي ينشد تحت دار امير المؤمنين المستضيء :

ستنقلك المنايا عن ديارك ويُبدلك الرَّدى داراً بدارك
وتترك ما عنيتَ بهِ زماناً وتنقل من غناك الى افتقارك

(١) كذا في الاصل ولعلها فتأبَّه او فتأدب

فدود القر في عينيك يرعى وترعى عين غيرك في ديارك

ومن منظومات المترجمين قول احدهم

اصبحت في الناس حرا غير ممقوتِ اذا رضيتُ بميسورٍ من القوتِ
ياقوتَ نفسي اذا ما درَّ خلفك لي فلستُ اثني على درٍّ وياقوتِ

وقول الآخر :

عجباً لي وقد مررتُ بآثارك أني اهتديتُ نهج الطريقِ
أتراني انسيتُ عهدك فيها صدقوا (ما لميّت من صديقِ)

وما ألطف قول بعضهم :

وكم شامت بي عند موتي جاهلٍ بظلمٍ يسلُّ السيف بعد وفاتي
ولو علم المسكين ماذا ينالُهُ من الضرّ بعدي مات قبل مماتي

وقول الآخر وفيه منتهى الحلم والحكمة :

واني لأترك عور الكلام لئلاَّ أجابَ بما أكرهُ
أصمُّ عن الكلم المحفظات واحلمُ والحلم بي أشبهُ
إذا ما أثرتُ سفاهَ السفيهِ علي فاني لا اسفهُ
فكم من فتى يعجب الناظرين لهُ ألسنٌ وله أوجهُ
ينام اذا حضر المكرمات وعند الدناءة يستنبهُ

وذكر في ترجمة ابي محمد التميمي من اهل القرن الخامس الهجرة : « ان له شعراً حسناً قال ابن السمعاني : انشدنا هبة الله بن طاووس بدمشق انشدنا التميمي لنفسه :

وما شنآن الشيب من اجل لونهِ ولكنهُ حادٍ الى البين مسرعُ
اذا ما بدت منه الطليعة آذنت بأن المنايا خلفها تتطلعُ
فان قدمتها المقراض صاحت بأختها فتطير تتلوها ثلاثٌ وارببعُ
وان خضبت حال الخضاب لأنهُ بغالب صنع الله والله أصنعُ
فيضحي كريش الديك فيه تلمُّعٌ وأفظع ما يكساهُ ثوبٌ ملمَّعُ
اذا ما بلغت الاربعين فقل لمن يودُّك فيما تشتهيه ويسرعُ
هلمُّوا لنبكي قبل فرقة بيننا فما بعدها عيش لذيذٌ ومجمعُ

وحلّي التصابي والخلاعة والهوى وأمّ طريق الحق فالحق أنفعُ
وخذ جنة تنجي وزاداً من التقى وصحبة مأمونٍ فقصدك مُفزِعُ

وهذا من ابلغ ما قيل في وصف الشيب وما يعقبه من الاستعداد للموت والتزوّد بصالح الاعمال

ومن احسن ما يختم به وصف الكتاب قول الشريف ابي علي الحسن بن عبد الصمد بن المتوكل على الله العباسي الهاشمي المقرىء المتوفى سنة ٥٥٤ هـ (١١٥٩ م) مجيزاً:

أجزتُ للسادة الاخيار ما سألوا فليروه (١) عني بلا بخسٍ ولا كذبِ
مما أحبّوهُ من شعري ومن خبري ومن جميع سماعاتي من الكتبِ
وليحذروا السهو والتصحيف من غلطٍ ويسلكوا سنّة الحفّاظ في الأدبِ

وقولُهُ متفنناً:

بشرقي بغداد لي حاجةٌ سأقضي وما خلتها تنقضي
ديونٌ على ماطلٍ ظالمٍ ووجدٍ بمستكبرٍ مُعرضِ
احنّ اليهِ حنين المحبّ ويهجرني هجرة المبغضِ

وقولُهُ في التعفف بالهوى:

ألا بأبي من صدّ عني وانثنى على صدّهِ شخصٌ اليّ حبيبُ
تجنبني خوف الوشاة وفي الحشى رسيس جوًى ما ينقضي ووجيبُ
ولي كبد حرّى عليه قريحةٌ وقلبٌ معنًّى في هواهُ يذوبُ
هم نسبوا حبّي الى غير عفّةٍ وظنّوا بنا سوءًا وذلك حوبُ
ووالله ما حدّثتُ نفسي بريبةٍ وحاشا لمثلي ان يقالَ: مريبُ

وقوله يفتخر بأنه حنبلي:

يا ذا الذي اضحى يصول ببدعةٍ وتشيُّعٍ وتمشعرٍ وتمعزلِ

(١) لا يستقيم الوزن بدون اسقاط واو الجماعة ولو قال (يروون عني) لتخلص من هذه الضرورة

لا تبكرنّ تحنبلي وتسفّني فعليهما يوم المعاد معوّلي
ان كان ذنبي حبّ مذهب احمد فليشهد الثقلان أني حنبلي

هذا ما جال به القلم في انتخاب بعض أمثلة مختلفة من شعر هذه الطبقات اما التراجم فمطوّلة لا يتسع المجال لذكر شيء منها وفي القليل غنى الكثير

عيسى اسكندر المعلوف

فتوى لغوية

في كلمة (المقهى) وجواز استعمالها

كتب ادیبان من شبان دمشق الى المجمع العلمي يستفتيان (عن كلمة مقهى واصلها وهل هي كلمة عربية تستعمل لمحل القهوة ام لا ؟) فرأينا ان نجيبهما شاكرين لهما عنايتهما بلغتهما وحرصهما على التفقّه فيها . فنقول :

القهوة في اللغة العربية معناها الخمر وسموا اللبن المحض قهوة لكونه يدار على الشاربين كما تدار قهوة الخمر كما في التاج ولم يكن العرب يعرفون نبات البن فلما اكتشف في العصور المتأخرة واتخذ الناس من مسحوق حبه هذا الشراب الاسود المغلي بالماء على النار ورأوه يدار على الجلاس كما تدار الخمرة — سموه قهوة باسم الخمرة ثم توسعوا في الاطلاق فسموا حبه ايضاً قهوة الى ان غلب اسم القهوة عليهما اخيراً ولم يعد يفهم منه الخمرة اصلاً . فالقهوة بمعنى مغلي البن من صنيع المولدين لكنهم حذوا في وضعه حذو اهل اللسان الذين سموا اللبن المحض قهوة لأنه يدار على الشاربين كما تدار قهوة الخمر . وكما ولد المتأخرون اسم القهوة لشراب البن المغلي ولدوا ايضاً استعمالاً ثانياً له اعني اطلاقه على المكان المعد لشرب مغلي البن . فاصبح اسم القهوة مشتركاً في عرف المولدين بين معنيين : مغلي البن ومكان شربه وليس صنيعهم هذا بدعاً في اللغة ولا افتئاتاً على اهلها بل هو مراعى فيه طريقتهم في تفريع كلمات اللغة وتنميتها واشتقاق بعضها من بعض البتة لغتنا تسمي العنصر الكلوي (نازاً) ثم اطلقت اسم